جذع مشترك علوم إنسانية

مقياس مدخل إلى الفلسفة العامة

المجموعة ب

الأستاذ: أمين طالبي، جامعة سطيف 2

المحاضرة الثانية: في خصائص الفلسفة وأبرز سماتها:

مفتتح استشكالي:

من المعلوم أن الفلسفة من حيث كونها تفكير تأمُّلي نقدي كانت لها أهميّة كبيرة في مختلف الحضارات، وقد ظلَّت الفلسفة عبر تاريخها الطويل تحاول مُسايرة تحوُّلات العصر والتطور اللاَّمتناهي للعلوم والمعارف، رغم انفصال هذه الأخيرة عنها، وقد أضحَى السؤال الذي يُطرح باستمرار، عن خصائص الفلسفة وأبرز سماتها في ظلِّ انفصال العلوم وتطوُّرها. فما هي أبرز خصائص الفلسفة التي تجعلها مختلفة عن باقي فروع المعرفة؟ وهل يُمكن لهذه الخصائص أن تجعل من الفلسفة ضرورة في حياة الإنسان؟

1) أولاً: الشُمُوليَّة:

من المعلوم أن العلوم قد انفصلت عن الفلسفة وأخذت تتجّه نحو التخصص في مباحثها، واستقلّ كل علم بموضوع ومنهج خاص به وهو بهذا الاستقلال عن الفلسفة يدرس القضايا وظواهرها دراسة جزئية، معنى ذلك بات يهتم بالقضايا والمشكلات التي تعنيه فعلم البيولوجيا يدرس كل ما يتعلق بجسم الإنسان والحياة والطبيعة، وعلم الفلك يختص بدراسة الأجرام السماوية والظواهر الكونية، وعلم الفيزياء يهتم بدراسة المادة، في حين تهتم الجيولوجيا بدراسة التضاريس، لكن الفلسفة باعتبارها فكر بقيت تمتاز على غيرها من فروع المعرفة بالشموليَّة، فمنذ ظهورها على أرض اليونان، وما قبل ذلك كممارسة نظريّة في الحضارات الشرقيَّة، كانت الفلسفة تتجنَّب التخصُّص، هذا وقد جاء على لسان أرسطو " لا علم إلاَّ بالكُليات" والفلسفة باعتبارها بحث عن الحكمة أو هي البحث العقلي عن الحقائق والأشياء فهي لا تهم بالجزئيات بقدر تهتم بالشمولية والكونية في استشكال القضايا ومحاولة حلها.

لهذا نجد الفلسفة، ورغم انفصال العلوم عنها، تتقاطع مع باقي العلوم وفروع المعرفية تقاطُعًا منهجيًّا أو معرفيًّا وهذا إن دلَّ على شيء إنما يدل على أن الفلسفة بقيت على مدار تاريخها الطويل تختص بنوعٍ من الشمولية في تناول القضايا والإشكالات باختلاف الميادين. ثقافية، اجتماعية، نفسية، فهدف الفلسفة هو البحث الشمولي من أجل تكوين نظرية / رؤية شاملة عن القضايا.

2) **ثانيا: الاتِّسَاق والانسجام:**

عادة في قراءتنا لتاريخ الفكر الفلسفي نجد أن الفلاسفة، خاصة في الفكر الفلسفي الحديث، قد عرضوا فلسفتهم ونظرياتهم ضمن مذاهب فلسفية محكمة التشييد وبالتالي فالفيلسوف لا يمكنه بأي حال من الأحوال الخروج عن مبادئ مذهبه، لأن الخروج عن مبادئ المذهب هو في الحقيقة تناقض في فكر الفيلسوف. وعليه، فهو يحرص على عدم الوقوع في تناقضات حتى وإن تعددت أراؤه حول القضايا التي يشتغل عليها لكنه يتجنب الوقوع في تناقض، بيد أن النظريات الفلسفية تتميّز بكونها منظومة فكرية منسجمة منطقيًّا.

لهذا، يزداد النَّسق و/ أو المذهب الفلسفي وزنا ومصداقية كلما تجنّبت التناقض، فيُشكل المذهب بناءً فكريا مُتَّسِقًا. وهذا يظهر بوضوح في تاريخ الفلسفة وتلك المذاهب التي أحكم أصحابُها تشييدها لتظهر متناسقة ومُنسجمة مع ما يطرحه الفيلسوف من نظريات فلسفية. وعليه، ومما سبق يُمكن القول أن الفلسفة تمتاز عن غيرها من فروع المعرفة بالانسجام والاتساق المنطقي، وتظهر هذه الميزة والخاصية في نظريات الفلاسفة ووفائهم لمذاهبهم الفلسفية.

فأنصار المذهب العقلي (Rationalism)بزعامة روني ديكارت مُتيَّقنُون جميعًا أنَّ الوصول إلى الحقيقة مرهون بطريق العقل والعقل وحده كفيل بتحقيق الوصول للحقيقة، بل إن الحقيقة حسب المذهب العقلي ليست سوى تصورات وأفكار موجودة في العقل وجودًا فطريا أودعها الخالق في الإنسان كعلامة للصانع في صنعة. وتظهر اتساق وانسجام هذا المذهب إيمان كل فلاسفة العقل بدور هذا الأخير في تحقيق المعرفة والوصول إلى الحقيقة.

3) **ثالثا: التَّعمُّق:**

انطلاقًا من اعتبار الفلسفة تفكير وتأمُّل عقلي في مختلف القضايا والإشكالات يتميَّز هذا التفكير بعمقه في الاستشكال، فالتفكير الفلسفي يتجاوز المعطيات الحسيَّة إلى التدبُّر العقلي والتأمل التجريدي الذي يهدف إلى الوصول للحقيقة، وهذا بفعل التأمُّل العقلي المتجاوز للمحسوس والوصف السطحي، فهذا الأخير (الوصف السطحي) عادة ما يُخفي خلفه حقائق لا يمكن إدراكها إلا عن طريق التدبُّر والتأمُّل.

لهذا يمكننا القول أن الفلسفة تتميز بالعمق في البحث والتعمق في استشكال القضايا الفلسفية، ولا تقف عند المعطيات الحسية، وهي لا تحاول البحث عن حلول مطلقة بقدر ما تحاول تحويل الإجابات إلى أسئلة فلسفية. فالأسئلة والاستشكال في الفلسفة أهم من الأجوبة.

4) **الدهشة:**

إن من خصائص الفلسفة هو الدهشة وهذه السِّمة هي تعبير عن الشعور بالجهل اتجاه القضايا والإشكالات التي يواجهها الإنسان، ومما لا شكَّ فيه أنَّ الدهشة في الفلسفة هي شعور بغموض القضايا وهذا الغموض نابعٌ

عن جهل الإنسان بطرق حل أو بالأحرى الإجابة عن ما يُطرح من إشكالات، وعليه، فالدهشة بهذا المعنى هي في صميم الفلسفة، وستجعل المُتفلسف يطرح تساؤلات من أجل الخوض فيها تأمُّلاً وتفكير عقلي رزين.

لهذا يمكن القول، ومما سبق، أن الدهشة كشعور وحالة تنتاب الإنسان اتجاه ما يجهله من قضايا، وهذا الشعور هو من سيجعل الإنسان يُدرك عمق جهله ومن ثمّ سيحاول البحث واستعمال ملكة العقل، ويعوّدها على النَّظر والفكر، فالدهشة الفلسفية تُنير بصيرته ليُدرك ما يجهله من قضايا.

5) الفلسفة اشتغال بقضايا الإنسان:

مما هو معروف عن الفلسفة ومنذ ظهورها الأول أنَّها اشتغال بالإنسان وقضايا الإنسان، ومهما اختلفت خصوصيات العصر وتعددت الفلسفات وتشابكت إلاَّ أنَّها لا تنفكّ أبدًا عن البحث في كل ما له علاقة بالإنسان. والنظر في الفلسفة عبر تاريخها منذ فجر الفلسفة اليونانية إلى الفلسفات المعاصرة نجد أنها تبحث في كل ما يتعلَّق بقضايا الإنسان والوجود الإنساني واهتماماته وكينونته، فتبحث في حريته وسعادته ووجوده ومصيره، وتقف ندًا لكل ما يُمكنه أن يمُسَّ بكرامته البشرية، والأبعد من ذلك أن الفلسفة تعمل عبر مباحثها وفروعها بتوعية الإنسان وتعميق مداركه وتنمية روح التأمُّل والتفكير النقدي الذي يروم إلى بناء الإنسان عقلا ووعيًّا بذاك القدر الذي يمكنه بناء مجتمعات وتشييد دول وقيام المواطنة.

وعليه، يمكن القول بما لا يدع مجالاً للشَّك أن الفلسفة ومنذ قيامها تبحث وتشتغل بقضايا الإنسان وقد تتعدَّى ذلك لتشتغل بالإنسان نفسه فنجد على سبيل المثال لا الحصر أن فلسفة التربية تبحث في مناهج التربية ونماذجها الفلسفية عبر تاريخ الفكر الفلسفي، وطُرُق استفادة الإنسان منها؛ كما نجد مبحث القيم (أو الأكسيولوجيا) قد توسَّع في الفلسفة المعاصرة ليُساهم في ظهور فرع في الفلسفية موسوم بأخلاقيات الطب والبيولوجيا، ويبحث هذا الميدان في ممارسات الطب والعلوم الحية ومدى احترامها لكرامة الإنسان. ويعترض على العلم إذا ما حاول تجاوز حدوده الأخلاقية ليُلحق الضرر بالإنسان.